أثر الأديبة الإسلامية في المجتمع

(تربية الأجيال، توجيه المرأة المسلمة، مقاومة تيار التغريب)

د. بلقيس غالب الشرعي *

مقدمة:

على الرغم من ظهور أعداد كبيرة من الأعمال المهتمة بتربية النشء وتوجيه المرأة المسلمة، إلا أن الحاجة ما تزال ماسة إلى مزيد من تلك الكتابات، التي تؤهل هذا الجانب في جهة، وتثريه في جهة أخرى، ومع ازدياد الحاجة إلى الكتابة الإبداعية للطفل والمرأة المسلمة إلا أن الموجود في الساحة قليل بالمقارنة إلى ما نتطلع إليه. ولا يعني هذا أننا ننظر إلى الكم فقط، بل هو اهتمام بالكم من خلال الكيف ولتحقيقه.

ولعل فيما يهدف إليه الأدب الإسلامي في أعماله المقدمة للنشء والمرأة المسلمة ما يشحذ قلم الأديبة المسلمة ليعبر عن هذا الكيان الوليد، وليتخذ من الأدب وسيلة وأداة قوية لتنشئة الطفل المسلم على المبادئ والقيم والسلوكيات الإسلامية، ولتوجيه المرأة المسلمة والحفاظ عليها.

وهو بذلك إنما يرسم المستقبل ويخطط وفق أهداف تربوية مقصودة محددة؛ حتى يحقق وجود تلك الشخصية المسلمة المتوازنة والمتكاملة في جميع جوانبها، والتي تلبي بدورها احتياجات المجتمع المسلم، وتحقق أصالته وتقدمه.

والهدف الرئيسي الذي نسعى إلى أن تحققه الأديبة المسلمة من خلال أدبها المقدم للطفل ولأختها المرأة المسلمة هو تقديم مضمون فكري تربوي يحقق الفائدة والمتعة من خلال الأشكال الأدبية الجميلة، وهذا المضمون الذي يحقق الحفاظ على كيان الإنسان المسلم، ويقف سداً منيعاً ضد الغزو الفكري والثقافي الغربي الذي يحاول بكل وسائله طمس الهوية الإسلامية في الشخصيات المسلمة.

(*) نائب العميد لشوون الطلاب – كلية التربية – جامعة صنعاء – اليمن.

obeikandi.com

ولعل للأديبة المسلمة إسهامات طيبة في هذا الجانب، غير أننا كما أشرنا بدءاً نعتقد أن الحاجة ما تزال ماسة وملحة لبذل جهود كبيرة من قبل الأديبة المسلمة لتحقيق تلك الأهداف.

ولا ننسى هنا أن نتوجه بالشكر إلى تلك الجهود التأصيلية والإبداعية التي قدمت في هذا الجانب من قبل العلماء والمفكرين من الأدباء وبخاصة الأديبات الإسلاميات في أدبهن سواء القصة أم الشعر أم المسرحية.

ونرجو الله عز وجل أن نكون قد وفقنا للإسهام في هذا الجانب بهذه الورقة التي نقدمها اليوم من خلال المحاور الآتية:

أولاً: أثر الأديبة الإسلامية في تربية الأجيال:

١- تربية النشء ودور الأدب في التربية.

٢- دور الأديبة الإسلامية في تربية النشء.

أ- غرس القيم.

القيم الإيمانية.

القيم الإنسانية.

القيم الجمالية.

ب- توجيه القيم وتصحيح المفاهيم.

ج- الإسهام في إيجاد الشخصية المسلمة.

د- صناعة ثقافة الطفل.

٣- مجالات تربية الجيل عند الأديبة المسلمة.

١- مرحلة الطفولة:

أ- الحكاية والقصة.

ب- الشعر.

ج- المسرحية.

openkandil.com

ثانياً: أثر الأديبة الإسلامية في توجيه المرأة المسلمة:

١- أهمية الأدب ودوره في توجيه المرأة المسلمة.

٢- دور الأديبة المسلمة في توجيه المرأة المسلمة.

أ- غرس القيم.

القيم الإيمانية.

القيم الإنسانية.

القيم الجمالية.

ب- توجيه القيم ومحاربة قيم الفساد.

ج- تعرية الشبهات القائمة حول المرأة المسلمة.

د- الإسهام في صنع ثقافة الشخصية المسلمة.

ثالثاً- أثر الأديبة الإسلامية في مقاومة تيار التغريب:

١- التغريب وأهمية مواجهته في الحفاظ على الشخصية المسلمة.

****

أولاً: أثر الأديبة الإسلامية في تربية الأجيال

١- تربية النشء ودور الأدب في التربية:

إن ما تمر به المجتمعات الإسلامية اليوم من تكالب عليها ليس بالأمر الهين، فهي مستهدفة في أصلها وهو الإنسان، وهي مستهدفة كذلك في صميم ذلك الأصل، وهو جيلها الناشئ الذي هو مستقبلها. فأطفال مجتمعاتنا الإسلامية اليوم يمرون في حالة ضياع مستمر، في الفكر والثقافة وطبيعة التصورات.

ونحن نقول: «أطفال اليوم بناة الغد، عليهم تقوم نهضة الأمة وتقدمها: يشيدون حضارتها، ويحمون مجدها، ويذودون عن حياضها، هم مناط آمالنا، ومعقد رجائنا، فما أشد حاجتنا إليهم: أقوياء الأبدان، أصحاء النفوس، أذكياء العقول، يتمتعون بوعي راقٍ، وفهم ثاقب، ونظر بعيد، وخيال خصب، وذوق رهيف،

ووازع ديني قوي» [١] وقولنا هذا إنما يضعنا أمام أهدافنا التربوية التي ننشدها في أجيالنا، وهذا بدوره يحملنا مسؤولية كبيرة في تنشئة ذلك الجيل متوازناً في شخصيته، في جميع جوانبها: العقلية والنفسية والجسمية، ونقل ثقافتنا إليه، بتمية فكره، وتنظيم سلوكه، وتصحيح تصوراته عن الكون والإنسان والحياة.

وهنا نتذكر حديث الرسول ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته: فالأمير على الناس راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على أهل بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**». متفق عليه.

ونستشعر أهمية المسؤولية وعظمتها في تقويم الفكر والمنهج الصحيح للنشء:

- إذا كان علماء النفس يؤكدون على أن أكبر المصائب أن يصاب الإنسان في شخصيته، فإن هذا يدعونا بلا شك إلى الالتفات بجدية للبحث عن العوامل التي نستطيع بها المحافظة على تلك الشخصية منذ بداية نشأتها.
- ولعله لا يختلف اثنان في كون الأدب - بمفهومه الشامل - واحداً من أهم العوامل المسهمة في بناء تلك الشخصية، وتنشئتها التنشئة الصحيحة.

وإذا كان الأدب بأجناسه المختلفة قد ابتعد عن هدفه الحقيقي في إسهامه في بناء الإنسان: فكرياً وثقافياً، ووجدانياً، فإن هذا يعزز لدينا أهمية مواصلة السير في إيضاح معالم نظرية الأدب الإسلامي، ثم الإسهام الفاعل في توجيه ذلك الأدب ليحقق هدفه المراد منه، والأدب الإسلامي اليوم يستطيع أن يقدم الكثير لنشئنا، ويسهم إسهاماً بناء في صياغة منطلقات تفكيرهم وتوجيههم، بدءاً بالحياة الدنيا وانتهاء بالمفهومات الأخروية، فهو يعمل على ترويض احتياجاتهم النفسية، ويسهم في إشباع منطلقاتهم الفكرية، ويهذب مشاعرهم وأحاسيسهم لتكون أقدر على التصدي لتحديات الواقع ومغريات الحياة المعاصرة، بقوة الإيمان وصدق العقيدة.

---

(١) الدكتور سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال، دار البشير، عمان - الأردن.

obeikandi.com

ومن هنا نرى أن الأدب يلعب دوراً مهماً وكبيراً في توجيه شخصية الناشئ التوجه السليم إذا ما التزم فيه مقومات المنهج الرباني.

ومما لا شك فيه أن للأديبة المسلمة بجانب أخيها الأديب المسلم دوراً مهماً وخطيراً في هذا الجانب، بل لا نبالغ إذا قلنا: إن دور المرأة قد يفوق دور الرجل فيما يخص تربية النشء، كما يقرر أصحاب الدراسات التربوية والاجتماعية.

على أن الأديبة المسلمة لا يمكن أن يتحقق لها ذلك الدور الخطير إلا إذا تحقق فيها صفات ذلك المنهج الرباني وكان «هدفها وسلوكها وتفكيرها ربانياً، كما صرح بذلك في سورة آل عمران ﴿.. وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ .. ﴿٧٩﴾﴾[1] أي تنسبون إلى الرب جل جلاله، بطاعتكم إياه وعبادتكم له واتباعكم لشريعته وموافقتكم لصفاته»[2]. وهذا يؤهل الأديبة المسلمة للرقي بفكرها إلى مصاف أكثر روعة وشفافية وقربا من واقع الطفولة البريء الشفيف.

إن المجتمعات جميعها تسعى على مر العصور ومن خلال مفكريها وعلمائها لأن تكرس جهودها لتربية نشئها لما للتربية من أهمية في نقل ثقافة الجيل السابق للجيل اللاحق، ونقل قيمه بالمجتمع وطبيعة تصوراته لمفردات الحياة إليه، ليواجه النشء متطلبات العصر ومشكلاته بشخصيته المتزنة المستقلة دون أن يذوب في ثقافة غيره.

ونتيجة للصراعات الفكرية المادية عن الاجتهادات البشرية والمادية أضحى الإنسان البريء الذي ولد على الفطرة السليمة مضطرباً في كل أحواله، مفتقراً للطريقة المثلى التي تضمن سلامة فطرته، وانسجامه الكامل مع سنن الحياة، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على تناقض الباحثين والمفكرين وتشتت آرائهم حول العملية التربوية، كما يدل إلى أنهم لم يهتدوا بعد إلى الوجه الصحيح الذي يستطيعون بواسطته المحافظة على هذه الفطرة سليمة وهذا كله يدعونا بشكل صريح على ضرورة إيضاح أهدافنا في تربية ذلك النشء من جهة وإلى العمل

(١) سورة آل عمران - ٧٩.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، ص ١٧٢.

الدؤوب في إيجاد الوسائل المساعدة التي تحقق تلك الأهداف، وعلى رأسها تلك الوسائل المتعلقة بالأدب والفنون.

ذلك الأدب وتلك الفنون غير البعيدة عن ثقافة هذا الجيل وجذوره الفكرية، بل ذلك الأدب وتلك الفنون التي تسهم إسهاماً فاعلاً في غرس الأهداف التربوية الربانية الأصيلة في عقل ذلك النشء وقلبه وهذا لا يكون إلا في الأدب الإسلامي الذي يكمن فيه تكيف دواعي الفطرة مع دواعي العقل، ويتجه الإنسان نحو حقيقة وجود الحق سبحانه وتعالى، تحقيقاً لقوله تعالى ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ..** ﴿٣٠﴾﴾ [١].

ومن هذا المعنى نستلهم أن الأدب الإسلامي يمثل بالنسبة للطفل: «التعبير الأدبي الجميل المؤثر الصادق في إيحاءاته ودلالاته، والذي يستلهم قيم الإسلام ومبادئه وعقيدته، ويجعل منها أساساً لبناء كيان الطفل عقلياً ونفسياً ووجدانياً وسلوكياً بدنياً، ويسهم في تنمية مداركه وإطلاق مواهبه الفطرية، وقدراته المختلفة.. وبذلك ينمو ويتدرج الطفل بصورة صحيحة، ويسعد به ومعه مجتمعه، على أن يراعي ذلك الأدب وضوح الرؤية وقوة الإنتاج والمنطق» [٢].

وبذلك يصبح الأدب الإسلامي أكثر فعالية في إيجاد شخصية إسلامية تستطيع أن تتفاعل مع الحياة ومتطلباتها الروحية والمادية، شخصية الإنسان المتحضر الفاعل في مجتمعه، القادر على التمييز بين الخير والشر والحلال والحرام، المغير لمجتمعه بعلمه ومعرفته، المقاوم لكل تيارات التحدي الثقافية.

٢- دور الأديبة الإسلامية في تربية النشء:

للأديبة المسلمة دورها الفاعل في تربية الجيل الناشئ من خلال ما تطرحه من مفاهيم، وما تؤكده من سلوكيات في إنتاجها الفني، ويتمثل دورها فيما يأتي:

---

(١) سورة الروم - ٣٠.

(٢) الدكتور نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩ م ص ١٤.

obeikandi.com

أ- غرس القيم:

تعد القيم المبدأ الأهم في صناعة الحياة، وتكون الشخصية الإنسانية الناضجة الواعية بوجودها في المجتمع. وعلى كثرة تعريفات هذا المفهوم، إلا أن الجميع يتفق على أن مصدر القيمة إلهيّ. ومفهوم القيمة «مفهوم يدل على مجموعة من المعايير والأحكام، تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته يراها جديرة بتوظيف إمكانياته وتتجدد من خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العملي أو اللفظي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة»[١].

وعلى هذا فإن الأديبة الإسلامية تولي هذا الهدف أهمية كبيرة حين تعمل فكرها وخيالها وقدراتها ومهاراتها في نتاجها الفني والأدبي. جاهدة أن يكون لها رسالة محددة توجهها في فنها إلى الآخرين، على رأس تلك الرسالة محاولتها غرس القيم السلوكية الحميدة في الجيل الناشئ.

والمحك المؤثر الحقيقي الذي تنطلق من خلاله الأديبة الإسلامية لغرس تلك القيم هو معرفة تلك الشخصية الإنسانية المستهدفة في النتاج الأدبي، ومعرفة خصائصها وقدراتها، وطريقة تفكيرها، وهذا بدوره يدعو تلك الأديبة إلى ضرورة التزود بالمعرفة اللازمة التي تستطيع من خلالها التمييز بين الخير والشر، والصواب والخطأ، وتحليل سلوكيات الناس التي تكشف بالتالي عن طريقة تفكيرهم وما يحملونه من مبادئ وأفكار.

وحين تسعى الأديبة الإسلامية إلى غرس القيم الحميدة تكون في حقيقة الأمر قد عملت بطريقة غير مباشرة على مقاومة القيم الفاسدة والضارة بالنشء، وخلقت نوعاً من التوازن في شخصية تلك الفئة المستهدفة، وبهذا تكون الأديبة الإسلامية قد حققت هدفين معاً، هدم في جانب قيم الشر، وبناء في جانب آخر لقيم الخير والصلاح.

---

(١) الدكتور زيد القيلي، مدى تمثل طلبة المرحلة الثانوية بالجمهورية اليمنية لبعض القيم الأخلاقية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزيرة، الخرطوم، ١٩٩٩م، ص ٢٦.

ويمكننا تقسيم القيم التي تهتم بها الأديبة الإسلامية لغرسها في النشء إلى ثلاثة أنواع هي:

القيم الإيمانية:

وهي مجموعة القيم المنبثقة من العقيدة الإسلامية وطبيعة تصوراتها. وتستطيع الأديبة الإسلامية تقديمها بصياغتها في قوالب فنية شيقة وبأسلوب قريب من الناشئة وأفهامهم. تركز فيها على مبادئ التوحيد، وترسيخ محبة الله تعالى ومحبة نبيه ﷺ وتقدم للطفل بعض المعارف المهمة عن أركان الإسلام وأركان الإيمان، وما يخص العبادات، وتغرس في الطفل حب معالم الإيمان، ثم تيسر للطفل القرب من القصص القرآني عبر ما تطرحه من معلومات ومفاهيم حولها.

ولقد ركز مفكرو المسلمين وفلاسفتهم منذ زمن بعيد على هذا الجانب لأهميته، يقول أبو حامد الغزالي في الحث والاهتمام بعقيدة الطفل وتلقينه إياها منذ صغره لينشأ عليها: «واعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه ليحفظه حفظاً، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً، فابتداؤه الحفظ، ثم الفهم، ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان، فمن فضل الله سبحانه وتعالى على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوئه للإيمان من غير حاجة إلى حجة أو برهان» [(١)].

وإذا ما تتبعت الأديبة المسلمة هذا الأسلوب التربوي الفذ في ترسيخ تلك الأهداف استطاعت أن تغرس الكثير من القيم الوجدانية والإيمانية، وأن تحافظ على الفطرة الإيمانية لدى الطفل، يقول الله تعالى في الحديث القدسي عن عياض ابن حمار المجاشعي (**إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم**) [(٢)].

وولادة الطفل على تلك الفطرة دليل على أنها الأصل الذي يجب المحافظة عليه.

ولعلنا نستلهم من القرآن الكريم الكثير من المواقف التي وقفها الأنبياء والرسل

---

(١) محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية للطفل، مؤسسة الريان، بيروت، ١٩٩٤م ص ٨١.

(٢) الدكتور عبد الحليم محمود، تربية الناشئ المسلم، دار الوفاء، المنصورة ١٩٩٢م، ص ٣١٧.

obeikandi.com

لتحقيق هذا الجانب كلقمان عليه السلام في تقديمه تلك الوصايا لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[١].

وكإبراهيم ويعقوب عليهما السلام: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[٢].

القيم الإنسانية:

وهي مجموعة القيم التي تحترمها الشعوب كافة، ويفرضها منطق التعايش والجوار والمصالح، بما لا يخالف الشريعة الإسلامية.

والمنهج الرباني يسعى إلى الحفاظ على كيان الإنسان بكل صور التكامل إنه منهج يحترم شخصية الإنسان، ويعطي الإنسانية قيمتها، لا فرق فيه بين ذكر وأنثى، والإنسان فيه مكرم ومفضل على سائر مخلوقات الله، بل كل ما في الأرض مسخر له، فكل قيمة تتوافق مع هذه السمات نجد أن المنهج الإسلامي لا يخالفها بل هو يدعو لها ويتبناها.

وأما دور الأديبة الإسلامية بشأن القيم الإنسانية فهو يتمثل كذلك في محاولة ترسيخ تلك القيم في الناشئة، بل غرس كل معنى إنساني جميل، وتحبيبه إلى نفوسهم لينشؤا على حب تلك المعاني، ويتطلعوا إلى الرقي في تعاملهم مع مفردات الحياة من حولهم مع كل ما يخص الإنسان على وجه الخصوص.

كما أن على الأديبة الإسلامية كذلك تنقية تلك القيم الإنسانية مما قد يعلق بها من المفاهيم الخاطئة التي تتناقض مع معالم الإيمان والشريعة وأصبحت في عرف

(١) سورة لقمان ١٣ – ١٦ واقرأ الآيات بعدها إلى (١٩).
(٢) البقرة ١٣٢.

الناس شيئاً معتاداً، نتيجة لطول الزمن واختلاط الحقائق بالخرافات والهوى، ونتيجة للظروف الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية.. إلخ التي تؤمن بسببها الشعوب بتصورات معينة، أو تخلق لديهم قناعات خاطئة.

وعلى الأديبة الإسلامية كذلك أن تعمل على «توضيح علاقة هذا الإنسان بالكون والبيئة، وما يحكم هذه العلاقات من نظم اجتماعية كالدين والأسرة والأخلاق والسياسة والاقتصاد والثقافة والفكر وكل أنواع السلوك والعادات والتقاليد والأعراف، وأن تتناول كل ما له علاقة بالإنسان المسلم من حيث الأنشطة التي يمارسها فرداً في جماعة أو عضواً في مجتمع بدءاً من معتقداته وأفكاره وقيمه الأخلاقية التي يجب أن يتبناها ويعمل وفقها، ومضياً مع كل ما يمارسه الإنسان من قول وصمت وعمل وترك وتعامل مع أسرته وأقاربه وجيرانه، وتعامله مع غير المسلمين» (١).

إن بناء القيم الإنسانية لدى الفرد أمر ضروري في بناء الحياة والحضارات الإنسانية، فإذا أردنا أن تكون مجتمعاتنا نموذجاً للإنسانية والخير، فعلينا أن نربي أفراداً أخياراً، وأن تكون التنشئة منذ الصغر حتى يتأصل الخير في نفوس النشء، وتمحي صفات الرذائل والشرور.

ويقول (سير وتشرد لفزجستون) في هذا الصدد: «لقد انشغلنا نحن في تعليمنا أكثر مما ينبغي بشؤون الحياة المادية، وأهملنا التفكير في روح الحياة، فعلينا أن نعيد إلى تعليمنا وإلى حياتنا حيوية تنقصها ديناً وفلسفة للحياة، مثلاً أعلى واضحاً ومحدداً يهدي سلوكنا، ويهذب نفوسنا، ويسيطر على حياة الأفراد فينا ويسيطر بهم على حياة الأمة» (٢).

وهذا دليل على ذلك التضارب والضياع للذين تعيشهما بلاد غير المسلمين، والواقع الذي تحكمه القيم المادية، وتتضارب فيه مقومات الشخصية الإنسانية

---

(١) الدكتور مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣٥.

(٣) الدكتور سيد أحمد طهاوي، القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩م ص ١٤٣.

السوية، وهو دليل آخر على ضرورة أن نلتفت إلى ما عندنا ونحافظ عليه، بتأصيله من جهة، ومحاولة تأكيده في نفوس جيلنا الناشئ من جهة أخرى.

القيم الجمالية:

وهي مجموعة القيم التي تعبر عن انسجام الفرد مع مشاهد الكون ومفردات الحياة، وحركة الإنسان. يتطلع بها ومعها إلى النظر فيما حوله بشفافية الروح، ونباهة الفكر، بعيداً عن البلادة والهمود.

وإذا كانت طبيعة الإنسان هي التطلع إلى الوجود والكون وما يدور فيهما، وهذه هي فطرته التي أودعها الله سبحانه وتعالى في نفسه، فالتفكير في هذا الكون وصوره كل مخلوقاته يُعد هدفاً في ذاته لكل من يحمل هم المسؤولية وأعباء التربية.

فإذا تساءلنا: أي صورة جمالية يمكن أن يحملها الإنسان في طيات تفكيره وفق المنهج الإسلامي؟ وما تلك القيم التي تنبثق منها؟ وجدنا أن المنهج الإسلامي يسير سيراً متميزاً في الرقي بالإنسان المسلم في نظرته إلى مفردات هذا الكون، وما فيه من صور جمالية رائعة.

«وتأتي أهمية القيم الجمالية في الإسلام من أن الكون مليء بآيات الجمال، وعلى الإنسان أن يفكر دائماً في سر الإبداع الموجود في هذا الكون، والقرآن الكريم يلفت النظر ويشد الأذهان دائماً ومعها القلوب إلى هذا الجمال، والإسلام يحوي منهجاً تربوياً متكاملاً يتضمن هذه القيم الجمالية من خلال القصص القرآنية، ويغرس هذه القيم في الإنسان ليرهف حسه، وينمي فيه التذوق للجمال ثم الإبداع» [١].

وعلى الأديبة المسلمة في هذا الجانب أن تقوي الحس الجمالي في نفوس النشء بدءاً بالتأمل في النفس، ثم ما يحيط بها من جمال الموجودات، ذلك أن الحس الجمالي طبيعة في النفوس وفطرة فيها، ولكن تلك النفوس في كثير من الأحيان تتبلد بالبعد عن شفافية الروح ونباهة الفكر، فتحتاج إلى من يشعل فيها فتيل تلك الشفافية والنباهة من جديد، وهنا يكمن دور الأديبة المسلمة، وهي بذلك إنما تسهم في إعادة الإنسان إلى إنسانيته الحقة، وتحدث تكاملاً في تكوين شخصيته.

---

(١) محمد جمال الدين علي محفوظ، التربية الإسلامية للطفل المراهق، دار الاعتصام، ص ١٠٤.

وبهذا تقدم الأديبة المسلمة تأصيلاً لهذه المسألة ودعماً لها، فالآيات القرآنية مليئة بالصور الجمالية والمشاهد الرائعة التي تصور الكون، وما فيه من أنهار وجبال ووديان ونبات وحيوان وسماء. كل ذلك يدعو الإنسان إلى التدبر في جمال الخلق وتناسقه وإبداعه، وذلك لتربية الإنسان المسلم على حب الجمال، والإحساس به، بعيداً عن مظاهر الجمال الزائف، ويتجلى ذلك المعنى في قول الله عز وجل ﴿ **إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ** ﴿٦﴾ ﴾ [١].

ب- توجيه القيم وتصحيح المفاهيم:

ساد المجتمع الإسلامي في العصر الحديث كثير من القيم المنحرفة والمفاهيم المغلوطة والسلوكيات الشاذة، بسبب من تراكمات الماضي، وضياع الحاضر بين إيديولوجيات متناقضة لا تحكمها غير المصلحة والمادة، وتغيب شبه تام للمنهج الرباني الصحيح في جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ولكننا بحاجة اليوم إلى من يعيد إلى الإنسان تلك القيم الربانية التي تهدي قلبه وفكره وعقله وتعيد له إنسانيته وكرامته من جهة، ومن جهة أخرى يدرأ تلك القيم الفاسدة ويصحح تلك المفهومات الخاطئة، وتقع على عاتق الأديبة المسلمة في هذا الجانب عبء التصحيح والتوجيه بالكتاب القيم، والقصة الهادفة، والشعر الوجداني الصادق. تستطيع الأديبة المسلمة أن تضع حجر الأساس لكل تلك الوسائل، وتبني بها قيماً هادفة، فتعيد إلى الأجيال القيم والمبادئ والمثل التي ضاعت في ظل غوغاء المجتمعات الحديثة، ففقدت معانيها، وتصحّح مسار ما انحرف من القيم النبيلة في أذهان النشء المسلم، فتشوّه وحمل صورة غير صحيحة عن حقيقته.

وإذا كان الإسلام لم يترك لنا قيمة تربوية إلا ودعا إليها وحث على ترسيخها في نفوس الأبناء والأجيال، معززاً كل سلوك إيجابي نافع، محذراً من كل سلوك شاذ عن الفطرة السليمة، فإن هذا بدوره يرسم لنا مخططاً واضحاً لتوزيع القيم إلى قسمين: إيجابي على الأديبة المسلمة تعزيزه، وسلبي ومشوب بما يشوهه على الأديبة

---

(١) سورة يونس - ٦ .

المسلمة توجيهه وتصحيحه وتطهيره من الانحراف، عبر المجالات الأدبية المختلفة، وما أكثر تلك الشبهات التي تسري الآن في قلب الأمة الإسلامية حول كثير من المفاهيم والقيم بسبب من الغزو الفكري والثقافي الذي يحاول جاهداً تشويه الصورة الحقيقية للإنسان المسلم، وقيمه التي يحملها وتصوراته عن الكون والإنسان والحياة وإظهار الإنسان المسلم بمظهر المتخلف عن ركب الحضارة، وإلصاق تخلفه بدينه.

كل هذا يدعونا إلى تكثيف جهودنا، واستخدام كافة طاقاتنا الإبداعية والفكرية في جميع الميادين لتصحيح تلك المفاهيم وتعرية زيفها، وشد وجدان المسلم من جديد إلى دينه عقيدةً وشريعةً وسلوكاً، وإظهار عظمة تلك القيم التي كانت وراء جميع نماذج السلوك البشري الرائع الذي ضربها عظماء الإسلام.

على أن على الأديبة المسلمة أن تقف بعناية عند المفاهيم التي مبعثها القيم الفاسدة، وتحلل ملامحها السلوكية تحليلاً موضوعياً، من أجل معرفة حقيقة واضحة لمعايب تلك القيم، وخلل تلك المفاهيم، ومن ثم توظيف تلك المعرفة المبنية على الاستقراء والتحليل في نماذجها الأدبية، وعليها أن تدرك غياب القدوة عن واقع الجيل الناشئ، فلا يكفي أن نغرس في الطفل القيم الحميدة والسلوكيات الجيدة وكل من يحيط به ويؤثر فيه بعيد عن تلك القيم والسلوكيات، وهذا يحتم علينا أن نوجه في طيات رسالتنا الإشارة إلى تلك القدوة بأهمية التمسك بالأخلاق والآداب في الأقوال والأفعال.

ج - الإسهام في إيجاد الشخصية المسلمة:

إن منهج الإسلام في بناء الشخصية المسلمة واسع وشامل في رسم الطريق الصحيح بناء الفرد وبناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره وسلوكه، حتى يكون إنساناً صحيح الجسم والعقل والنفس، وليجعل منه لبنة قوية متماسكة وعنصراً إيجابياً صالحاً في مجتمع كبير، ومقاتلاً شجاعاً لا يقهر في الحرب دفاعاً عن دينه وشرفه ووطنه» [١].

---

(١) الدكتور نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩ ص- ١١٣.

إن إعداد الشخصية وبناءها يحتاج إلى تعويد الطفل على السلوكيات الحميدة من خلال وسائل التعليم والإعلام المختلفة، وإن على الأديبة المسلمة أن تقدم القصة الهادفة والحوار البناء، وما يحيط به في الوجود، وتنمي عنده القدرة الذاتية على النمو بتفكيره ذاك إلى ما هو أفضل، وتوجيه القدرة على تحليل الواقع ومدخلات الحياة، وهذا كله يحرك فطرته السليمة التي فطره الله عليها، وعندئذ يشعر بانتماء النافع لنفسه ومجتمعه.

وإن لفت انتباه الطفل من وقت مبكر إلى جماليات هذا الكون وإلى أهمية السمع والبصر والفؤاد في عملية التدبر والتفكير والمعرفة إنما يسهم في بناء شخصية ذلك الطفل في شكلها المطلوب، وينمي عنده تلك القدرة الذاتية على التأمل والتدبر، وما يكاد يصل بعد ذلك إلى مرحلة عمرية أكبر حتى يكون قد استطاع أن يمتلك القدرة على الاستقرار والتحليل والخروج بأحكام ثاقبة أصيلة عما يدور حوله في الكون، واستطاع أن يحمل مسؤولية عملية التدبر: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾**﴾ [(١)].

وهذا يحتم على الأديبة المسلمة واجب إبداع الأدب المناسب الذي يخلق لدى الطفل تلك الحساسية المبكرة في تناول الأشياء والنظرة إليها، مستخدماً عقله وقدراته وعمليات عقله العليا في ذلك التناول.

والأدب المناسب هنا هو الأدب الذي يحس معه الطفل «بمشاعر البهجة والانتعاش والتعجب، ويجرب نشوة الانتصار والتفوق، أو يتمثل مشاعر الألم والحزن، ويدرك قساوة القهر والظلم. والشكل الفني للقصة (أو غيرها من الأجناس الأدبية) بما فيها من ألفاظ مناسبة، وتراكيب بسيطة، وتكامل في الأداء الأسلوبي، وعناصر للتشويق والجذب، سواء أكان الطفل يقرؤها أو يسمعها، نقول: إن هذا كله يجعل الطفل يطرب لما في هذا الأدب من نسق ووحدة وتوازن، ويستوعبها وجدانه

---

(١) سورة آل عمران (١٩٠ – ١٩١).

كما يتلقف عقله ما يستوعب من ثقافة، ونتيجة لذلك تتبدى ملامح تشكيله الوجداني فيما يقول من الكلمات، أو يسلك من سلوك، وفي استجابته للأحداث والمواقف ومختلف المؤثرات»[١].

إن المنهج الإسلامي قد حدد مهامه ووظائفه في تكوين الشخصية المسلمة، فعلى من يتبنى مسؤولية النشء والتربية أن يسهم في تقويم هذه الوظائف الرئيسية في بناء طاقات النشء وتوظيفها، ومن الضروري تربية أفكار الطفل ومداركه على تكل الوظائف، المتمثلة في عبادة الله تعالى، والتعامل مع البيت، وفي المدرسة أو المعهد، وفي الحي الذي يسكن فيه، ومع أقربائه وجيرانه وأصدقائه، ومع زملائه في العمل.. إلخ.

ويقصد بتلك الوظائف تزويد الطفل بالمعلومات والمهارات والسلوكيات عن طريق القصة أو الشعر أو المسرحية.. وغيرها من الوسائل الأدبية التي تؤثر تأثيراً مباشراً في وجدان الطفل، وتحقق الهدف في بناء الشخصية.

ولعل ما تمر به المجتمعات الحديثة من فوضى الحياة، يحفزنا للقيام بواجبنا تجاه ذلك الإنسان في هذه الحياة، ويحملنا مسؤولية إنقاذه وإرشاده.

د- صناعة ثقافة الطفل وتوسيع مداركه:

على الرغم من وجود عدد كبير من الكتابات الأدبية للطفل إلا أن الطفل اليوم في ظل الأوضاع المتضاربة والمتصارعة في القيم والمبادئ والأهداف ما يزال بحاجة ماسة إلى مزيد من الكتابات التي تتصف بالشمول في بناء شخصيته المتوازنة. إن صناعة ثقافة الطفل مسؤولية عظيمة تقع على كاهل المربين والإعلاميين والأدباء وأفراد المجتمع، والأديبة المسلمة واحد من أهم صناع تلك الثقافة، فهي تستطيع أن تثري هذا الطريق، وتلبي احتياجاته النفسية والعقائدية والثقافية بما يشبع رغبات الطفولة، وينمي ويفجر إبداعاتها في التفكير والابتكار، بوساطة ما تقدمه متوافقاً مع استعدادات الطفولة وميولها وخصائصها.

---

(١) الدكتور سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال، دار البشير، عمان – الأردن، ١٩٩٣م، ص ٣٧٦.

٣- مجالات تربية الجيل عند الأديبة المسلمة:

مرحلة الطفولة:

ويمكن للأديبة المسلمة أن تكتب في المجالات الآتية:

أ- الحكاية والقصة:

وللحكاية والقصة تأثير كبير في خيال الطفل وتنمية قدراته الفكرية، فهما وسيلة لتهذيب السلوك وغرس بذور القيم، وخلق شخصية الطفل المتكاملة والمتوازنة.

وهناك أنواع كثيرة من قصص الأطفال تتيح للأديبة المسلمة أن تكتب فيها أهمها: الأسطورة، الخرافة، القصة الشعبية، القصة التاريخية، القصة الدينية، القصة التهذيبية، القصة البوليسية، قصص الحيوان والجماد، القصص الواقعية...

ولا شك أن بعض هذه المجالات ليست بالغريبة علينا كون القرآن قد عرض لها بطريقته الخاصة، وما على الأديبة المسلمة إلا أن تمكن نفسها من القدرة على الإبداع في هذا المجال، وتنمي تلك القدرة بأسلوبها الخاص، كما أن على الأديبة المسلمة أن تثقف نفسها بمعرفة الفكر التربوي الذي يمكنها من توظيف تلك المجالات القصصية التوظيف الصحيح، ثم إن عليها اختيار الموضوع الجيد الذي يعلي من شأن القصة، ويزود الطفل بخبرات ومعارف وأفكار تهيئه لأداء دوره المستقبلي بإحياء أنبل العواطف وغرس أرقى المشاعر، وبث روح الجد والمثابرة والبحث والتخيل في نفسه، وليس معنى ذلك أن هناك موضوعات صالحة وأخرى غير صالحة، ولكن المعول عليه هو ما يستطيع الفنان أن يلتقطه ويوظفه في بنية قصصية لتحقيق غاياته، بفضل مقدرته الفنية» (١).

ب - الشعر:

والشعر أحد المجالات الأدبية التي يمكن للأديبة المسلمة أن تقدم رسالتها بوساطته، وتنمي به التذوق والإحساس الرفيع والمعاني السامية والإنسانية لدى الأطفال.

---

(١) المرجع السابق ص ٨١.

وإذا كان الطفل بفطرته شاعراً وصاحب إحساس جميل، فإننا لانخلق في الحقيقة فيه صفة الشاعرية، بل ننميها ونطورها.

ومن الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى ضرورة أن تكون الأديبة المسلمة قريبة من واقع الطفل حين تكتب له شعراً، قريبة من مفرداته اللغوية، قريبة من أسلوبه، قريبة من معانيه وأفكاره وخياله، مراعية لقدراته العقلية، مختارة له من الإيقاعات الشعرية ما يلائم مرحلته العمرية كالبحور الراقصة التي تبعث على الحركة والنشاط، مبتعدة عن الإفراط في الإثارة، مبتعدة كذلك عن المجازات والكنايات والرموز الغامضة.

ويمكن للأديبة المسلمة في هذا المجال الكتابة في: الشعر الإنشادي، والشعر القصص، والشعر المسرحي، والشعر على لسان الحيوان.

ج - المسرحية:

تفكير الطفل الصغير تفكير حسي تثيره الحركة والصوت، ومن هنا كان المسرح من أهم المجالات التي تؤثر في الطفل وسلوكياته، بما يحمله من عوامل جذب وإثارة للطفل، إذا ما أتقن إدخال تلك المثيرات في المسرح، فالمسرح تجسيد وحضور حركي صوتي لمجموعة من المعاني والسلوكيات يراد إكسابها للمشاهد والتأثير بها في سلوكه الشامل.

ومن هذا المنطلق تستطيع الأديبة المسلمة أن تحقق الكثير من أهدافها التربوية والثقافية والأدبية والجمالية عبر المسرح، ولا شك أن المسرحية تشكل وجدان الطفل كذلك، فالطفل عندما يشاهد المسرحية بأحداثها مفعمة بالصوت والحركة يركز على تلك الأحداث بكل حواسه وقدرات عقله العليا، وهذا يولد فيه إثاره كبيرة وتأثيراً خطيراً في شخصيته وسلوكه المستقبلي.

والأديبة المسلمة حينما تقدم للمسرح النص الهادف، والفكرة القيمة، والصياغة المناسبة، إنما تسهم إسهاماً ممتازاً في تحقيق تلك الأهداف المبتغاة للأطفال من اللعب الجاد في المسرح، الذي هو في الحقيقة محاولة منهم لاختبار العالم من حولهم، واكتشاف خباياه، وتنمية لخبرات الطفل، إذ يواجه مواقف حياتية جديدة

توسع من أفقه وإدراكه، أو يدرك بعض جوانب الحياة التي قد نجيب عن بعض تساؤلاته[١].

لقد أصبح المسرح اليوم وسيلة رئيسية تستخدمه المدرسة، ليس فقط للمشاهدة بل ليشارك الطفل في التعبير عن نفسه وخواطره، وليكتسب المهارات اللغوية والاجتماعية التي تعينه على مواجهة الحياة بكل ما تحويه من تحديات.

ولعلنا نستطيع أن نجعل الأهداف التي نسعى لتحقيقها من خلال المسرح فيما يأتي (كما أشار إليها الدكتور/ نجيب الكيلاني في كتابه «أدب الأطفال في ضوء الإسلام»):

١- ترسيخ القيم الإسلامية الأصيلة.

٢- تعويد التلاميذ على العمل التعاوني الجماعي، وتدريبهم على مواجهة الجمهور واكتساب الثقة بالنفس.

٣- التعرف على الحياة، والطبائع البشرية، بما يؤهلهم للحياة، ليكونوا أكثر نضجاً وخصوبة.

٤- تبسيط المادة العلمية، وتحويل جفافها إلى خبرات ذات معنى ملموس يمكن استيعابها وتذوقها، أي أن المسرح يعتبر طريقة من طرق التدريس.

٥- إضفاء جو من المرح والسرور على الحياة الرتيبة.

٦- معالجة بعض الاضطرابات النفسية لدى التلاميذ.

٧- تربية التعبير الحركي والتعبير العاطفي بما يكفل الاستقرار النفسي.

٨- توعية الطفل ذاتياً واجتماعياً، وإذكاء روح العمل والأمل في نفسه.

والأمر الذي لا شك فيه أن الأديبة المسلمة تستطيع أن تقدم أدباً مميزاً للطفل المسلم من خلال المسرح، لكي تصل إلى عقله ووجدانه، وتنجح في إقناعه بأفكارها بما تمتلكه من حس جمالي مرهف، وأداء ممتاز سواءً في حوار الشخصيات في

(١) الدكتور علي عبد الحليم محمود، تربية الناشئ المسلم، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٢، ص ٣٧٦.

المسرح أو ما يشابه المسرح العادي، كمسرح العرائس، وأفلام الكرتون، وغيرها مما هو أكثر انتشاراً في الوقت الحاضر، نتيجة تطور وسائل الإعلام المختلفة.. فعلى الأديبة المسلمة أن تخترق كل هذه المجالات، للإسهام بفاعلية وإيجابية في بناء الإنسان وشخصيته.

ثانياً: أثر الأديبة الإسلامية في توجيه المرأة المسلمة:

١- أهمية الأدب في توجيه المرأة المسلمة ومقاومة التحديات المواجهة:

تعد نقطة الانطلاق في تكوين الإنسان هي المعرفة، ونقطة البداية في تكوين المعرفة هي ملاحظة الظواهر المحيطة بالإنسان وعلاقتها ببعضها، ثم تكوين رأي دقيق حولها، فالمشاعر والإدراك وتحسس المعاني بالحدس طرق موصلة ومساعدة على تلك الملاحظة. ولا شك أن الأدب عامل أساسي ومهم في تربية المشاعر والأحاسيس، تلك المشاعر والأحاسيس التي إذا هذبت ونظمت قادت إلى معرفة صحيحة لمجموع الظواهر الحسية أو تلك الظواهر ذات المسببات الغيبية.

وإذا كانت المعرفة هي نقطة البداية لدور يُعوّل على الإنسان القيام به، فإن معنى ذلك أن المعرفة وحدها لا تكفي للقيام بذلك الدور، بل ينبغي أن يتلوها استخدام صحيح لتلك المعرفة في مجالاتها الصحيحة، وهذا لا يتأتى إلا لشخصية متزنة متكاملة، ولا شك أن واحداً من أهم عوامل تكامل تلك الشخصية هو الاتزان الانفعالي، والذي يعمل الأدب الهادف فيه عمله، فيبدو بتلك الحالة من الاستقرار والهدوء.

وإذا كان الأدب عاملاً أساسياً ومهماً في تربية المشاعر والأحاسيس، وعاملاً أساسياً ومهماً في إيجاد شخصية متكاملة ومتزنة انفعالياً، فإن هذا بلا شك يجعل الأدب على مكانة مهمة في التربية والتوجيه. ويصبح الأدب في هذا المقام وسيلة للتقرب إلى المعرفة والحقائق، وفاعلاً مهماً في تلك الشخصية المتكاملة، يمزج بين العقل والإحساس لكي يتفاعل مع الجوانب الذهنية والنفسية.

والأديبة المسلمة قادرة على استخدام الأدب وسيلة للتعبير عن شعورها وإحساسها الذي هو إحساس كثير من النساء في قضاياهن ومعاناتهن، وهي بهذا

إنما تسهم إسهاماً فاعلاً في تحليل تلك الظواهر في قضايا المرأة بالمعرفة الصحيحة المقدمة من خلال الأدب كاتجاهات ومواقف، وتجسيد مشاعرها، ثم تقديم المعالجات الصحيحة لتلك الظواهر، والتي تتبع من خلال الأهدف العامة لما تكتبه الأديبة المسلمة.

كما أن الأديبة المسلمة كذلك تقدم قضايا مجتمعها تماماً كالأديب المسلم بوجهات نظر صحيحة ونابعة من رؤية محددة للحياة، يحددها التصور الإسلامي.

وهي بهذا تتحمل مسؤولية إيصال تلك الرسالة إلى سائر نساء المسلمين من وجهة أو جهة أخرى تعمل على صناعة تلك الشخصية الفاعلة السوية القادرة على المحافظة على نفسها، وبناء ذاتها، والقادرة على مواجهة المغريات والتحديات.

وإذا كانت الأديبة المسلمة إنما ينبثق فكرها ومبادئها وقيمها من صلب عقيدتها فإنها حين تمارس هذه التجربة وتبدع في عطائها، تظل على وعي بأنها أولاً وأخيراً مسلمة، ثم أديبة حتى لا تفقد رسالتها في الحياة.

وهذا يحتم عليها تحمل هموم قضاياها الإسلامية والوطنية، ومواجهة الأفكار الدخيلة والشبهات وتغريب الشخصية المسلمة.

«إن ما تمر به المرأة اليوم من تناقضات فكرية وصراعات منهجية، وضياع في الحقوق وتهرب من الالتزام والواجبات يستدعي من الأديبة المسلمة التصدّي لهذا الوضع المزري والمأساوي، ومن ثم التساؤل: من أين تستقي المرأة أفكارها ونهج حياتها هذه الأيام؟ ولم وصلت إلى هذا الوضع المزري؟! ثم معرفة الإجابة، والبحث عن العلاج بعد دراسة الظواهر وتحليلها عبر ملامحها السلوكية.

وإننا حين نتحدث عن الأدب الإسلامي وأهميته ودوره الذي يلعبه في حياة الإنسان، لا نستقل الأمر، فهو مربوط بمستقبل الأمة ونهجها الذي تسير عليه، ولا شك أن الأديبة المسلمة امرأة تنهج مناهج الإسلام الذي من خلاله تشكل شخصيتها وهويتها وطموحاتها وآمالها في الحياة، فهي أديبة التزمت بآداب الإسلام؛ لتتميز بأحاسيسها وأفكارها التي تنقلها إلى بنات جنسها، مقدمة بذلك على خطوة جريئة

في التغيير، النابع من إيمانها ومصداقيتها، وهذا يعد مجال دعوة مفتوح من أديبة مسلمة صادقة.

وفي هذا المجال ندعو الأديبة المسلمة أن تكون قدوة لأخواتها فيما تدعو إليه، حتى لا يصبح الأمر شعارات زائفة، بل عملاً وسلوكاً يواجه إلى جانب القول التحديات والصراعات والشبهات التي يقوم بها دعاة التغريب، فالفضيلة والأخلاق العالية والطهارة والعفة من أهم السمات التي يجب أن تتحلى بها الأديبة المسلمة قبل غيرها من النساء لكونها موجهة تربوية لسلوك الآخرين، ولكنها تستلهم أفكارها وأحاسيسها من التأصيل الحقيقي للمعرفة، ألا وهو الدين الإسلامي، وهي بذلك تحقق قول الله تعالى: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴿١٠٨﴾ ﴾[١] .

وهذا ما ننشده اليوم من الأدب الإسلامي عبر الأديبة المسلمة، أن تكون مجاهدة حقيقية بالكلمة الطيبة والفكرة الواعية والأسلوب المؤثر؛ لإنشاء أدب إسلامي حديث معبر عن فكر المرأة المسلمة ووجدانها. متلمسة به ظواهر واقعها المؤلم الذي تسوده مبادئ الضياع والعبث والتفاهات والسقوط، ومعرية بذلك زيف تلك المبادئ، مدافعة في الوقت نفسه عن مبادئ الحق والخير، وهي حين تمارس دورها ذلك في بناء المجتمع، تعلم جيداً أن أمامها كثيراً من التحديات والصعاب، لكن اتضاح الهدف والغاية عندها يذلل تلك الصعوبات ويهونها، إلى جانب غيرتها وحرقتها من تكالب الأمم على أمتها، وتآمرهم المستمر في تهديم قيمتها وعقيدتها من خلال الغزو الثقافي في جوانب الفكر والأدب والثقافة.

٢- دور الأديبة المسلمة في توجيه المرأة المسلمة:

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: ما الذي سوف تقدمه الأديبة المسلمة؟! وهل نحن في حاجة فعلاً إلى ذلك الدور؟!.

(١) سورة يوسف – ١٠٨.

قد يتبادر إلى الذهن ضخامة هذين السؤالين، وصعوبة الإجابة عنهما بتحديد دقيق، وبخاصة إذا ما أخذنا في الحسبان ضغوط الواقع، وبدايات المسير غير أنه مما لا شك فيه أن النجاح حليف كل مثابر لا يمل ولا يكل من مواصلة الطريق، كما أن وجود الحاجة الملحة إلى أدب إسلامي له مميزاته وخصائصه التي تميزه عما عداه تقتضي بالضرورة تعاون كل من الأديب المسلم والأديبة المسلمة في تقدير كل منهما دوره في هذا المجال.

وإذا كانت العقيدة هي الركيزة التي يبنى عليها الأدب الإسلامي، بوصفها غذاء الروح والفكر والوجدان؛ فإن معنى ذلك أن على الأديبة المسلمة واجب البلاغ لتلك العقيدة عبر ذلك الأدب؛ وهذا يحتم عليها القيام بدورها أديبة تحمل فكراً ورسالة، ومن الأهمية بمكان تبليغهما للآخرين.

أ- غرس القيم والتأكيد عليها:

دور الأديبة المسلمة في هذا المجال يتمثل أكثر ما يتمثل في التأكيد على تلك السلوكيات المنبثقة من العقيدة وإخراجها إلى الآخرين عبر أدبها. ويمكننا أن نقسم تلك السلوكيات إلى مجموعة القيم الآتية:

القيم الإيمانية:

تعد القيم الإيمانية الركيزة الأساس أو البناء القاعدي في بناء الإنسان الروحي والنفسي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.. وتعميق مفهوم الإيمان بالله عز وجل ضرورة وهدف عظيم يستشعر الإنسان بتحققه عظمة الخالق وقدرته، ويصحح تصوراته عما يحيط به من الموجودات، ولهذا كله يحث القرآن في كثير من الآيات والسور على استخدام أدوات المعرفة لإدراك حقائق الأشياء، والعمل على الاستفادة من ذلك الاستخدام: ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1].

فهذه الآيات مفتاح للإنسان يحث عقله للتفكير والتأمل، وهي حرية للانعتاق من كل القيود الفكرية التي لم تستند على أساس علمي.

---

(١) سورة الذاريات - ٢٠ - ٢١ .

والأديبة المسلمة قادرة في هذا المجال على تقديم رسالة إيمانية متميزة عبر أدبها وإبداعها بوساطة محاولتها تقديم الجديد عبر الأدوات الفنية المبدعة التجديدية التي تستطع بها رفد الأدب وفنيته، ومن جانب آخر تقديم رؤية ذاتية للحياة ومفرداتها وعلاقاتها بوساطة تلك الأدوات الفنية.

وهنا نؤكد على أهمية المضمون، وإن كنا في الحقيقة نقر - كما يقول النقاد - أنه لا حقيقة للمضمون بدون اللفظ، وللفظ دونما مضمون في العمل الفني، غير أننا نقصد جانب ما يقدمه المبنى من معنى، وما تقدمه اللغة من رسالة، فطاعة الله عز وجل وحبه والحرص على الالتزام بأوامره، والتحذير من معصيته، والاستقامة إلى هديه، هي الغاية التي على الأديبة أن توليها اهتماماً متميزاً، وحيزاً كبيراً في نتاجها الأدبي، وصولاً إلى الإنسان السوي المستقيم، فالقيمة الإيمانية هدفها الإنسان وتنشئته التنشئة الصالحة التي تتلاءم مع هدف وجوده في الحياة ومع بشريته.

ويمكن للأديبة المسلمة في هذا الجانب:

- العمل على تشكيل الوجدان المسلم في إطار المنهج الإسلامي. وفق تصورات صحيحة تحكمها القيم الإيمانية.
- التأكيد على قيمة الحق والخير والجمال كقيم غير منفصلة عن بعضها، فكل حق هو خير وجميل، ولا يتأكد جمال الأشياء إلا من خلال قربها من الحق وخيريتها.
- تعرية القيم الزائفة، والعمل بإظهار معايبها، والكشف عن أضرارها وأخطارها.

القيم الإنسانية:

يعيش الإنسان اليوم في غربة روحية مريرة تحكمه معالم المادة لا معالم الروح، وفي غمرة هذه البلادة وعدم الشعور بالمسؤولية وغاية الوجود ذهب كثير من المعاني الإنسانية الرفيعة الشفيفة أدراج الرياح عن إنسان اليوم، واختل تعامل الإنسان الرفيع لأخيه الإنسان.

وفي جهة أخرى تعيش المرأة - وهي الجزء الآخر المكمل لأخيها الرجل - وفي غمرة الحياة في معاناة أكبر من الرجل في ظل قيم استبعدت المرأة من قيمها الحقيقية والأصيلة في بناء هذا الإنسان بناء الخير لنفسه وغيره.

وواجب الأديبة المسلمة إزاء ذلك يكمن في:

- أن تعيد الأديبة المسلمة إلى المرأة المسلمة ثقتها بنفسها، وتؤكد لها ديمومة الخير في النفس الإنسانية البشرية مهما طغى عليها الران والذنوب، وتحيي في نفسها الأمل في إعادة الإنسان إلى إنسانيته، فالخير أصيل في فطرته.
- أن تغرس في نفس المرأة المسلمة حب القيم الإنسانية الرفيعة.. قيم الحق والخير والجمال، وتدعوها لأن تتمثل تلك القيم الإنسانية الرفيعة، وتتبنى الدعوة إليها بعد تمثلها.
- أن تبرز من خلال أدبها خطورة ضياع تلك القيم الإنسانية من حياة الإنسان ومآل الإنسان بدونها، من خلال تلمس قضايا الإنسان الحديث وما أصابه، ومن خلال التعرض لقضايا المسلمين اليوم وما يعانونه، بعد أن فقد العالم الغربي قيمه الإنسانية، وتعرى من إنسانيته.
- كما أن عليها واجب مقاومة كل ما يهدم أخلاق الإنسان وقيمة الإنسانية الحميدة، وتعرية تلك القيم الغازية، وليدة الاستعمار الفكري والثقافي، التي تحاول أن تطمس عقيدة الإنسان المسلم وأخلاقه وقيمه الإنسانية الرفيعة.

القيم الجمالية:

إن رقي الإحساس والإدراك الجمالي لدى الإنسان يرفعه إلى درجات أعلى في فهم الأشياء من حوله وإدراك علاقتها، وتذوق ما يحيط بها من المعاني، وهذا بدوره يجعل الإنسان يشعر بجمال الكون والطبيعة فقط، بل يحس ويدرك جمال نفسه أيضاً، فتصبح حياته كلها جميلة وراضية، لأنه ينظر إليها بمنظار العين الجميلة.

ولهذا أكد القرآن الكريم في كثير من آياته على أهمية النظر والتأمل في مفردات هذا الكون: في السماء والنجوم والسحاب والمطر، وفي البحر، وفي الأرض

والجبال والإنسان والحيوان.. إلخ. كل ذلك ليصنع تلك العين الجميلة التي تستطيع تذوق الجمال..

والذي نفســـه بغيــر جمـــال لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً

وإذا كان الفن يهدف في جانب كبير منه إلى الفن نفسه - حسب اعتقاد بعض المدارس الأوروبيـة - فـإن مـعنى ذلك أن الجـانب الجـمـالي الذي يؤديه الفن على أهمية كبيرة في عمل الفنان والأديب.

غير أننا بهذا القول لا نعني ما يعنيه أصحاب مدرسة الفن للفن من الذهاب إلى مطلق جـماليـات الفن دون المضمـون أو الرسـالة، بل نعني تقديم مـضمـون جـمـالي كقيمة جمالية هي رسالة في ذاتها عبر ذلك الفن.

ويمكن الأديبة المسلمة في هذا الجانب:

- التأكيد على التربية الجمالية في النظر والتأمل في مفردات الكون.
- تلمس بعض معاني قيم الجمال التي ذبلت في طيات حركة الإنسان الحديث، وإحياؤها من جديد.
- محاولة خلق حساسية وشفافية جديدتين ومناسبتين إزاء النظر فيما يحيط بإنسان اليوم وبما يتلاءم مع واقعه.

محاربة البلادة التي أصاب هذا الإنسان فأضحى يتخبط في دياجير الظلمات ساهم الفكر، بليد النظرة، والتـأكيـد الدائم غيـر المباشـر على أهميـة استـخدام الإنسـان عقله وأدوات تفكيره وقدراته العقليـة وحواسـه في الوصول إلى مـعرفـة الحقائق وإدراكها وتلمس معانيها.

- التمييز بين القيم الجمالية الحقيقية التي تربي المشاعر على الشفافية في التعامل مع الله عـز وجل ومع الإنسـان والحيـاة ومفـردات الكون، وتلك المظاهـر الجمـاليـة الزائفة التي تتخذ من الشكل وحده قيمة جمالية وتوليه اهتمامها الأكبر.
- العمل على إبراز تلك المظاهر الجمالية الحقيقية، والتأكيد عليها.

ب - توجيه القيم الأصيلة ومحاربة قيم الفساد:

تمر المجتمعات الإسلامية اليوم في تخبط أعمى في المفاهيم وطبيعة التصورات، وفي القيم والمبادئ، بسبب من تراكمات الماضي، وضياع الهوية في الحاضر، وبسبب من هذا وذاك انتشرت كثير من قيم الفساد والانحلال في صفوف المجتمعات، كما انحرفت بعض تلك القيم الجمالية وتشوهت.

ولا شك أن للغزو الفكري دوراً كبيراً في انتشار تلك القيم المنحرفة، وتشويه القيم الأصيلة، عبر وسائله المختلفة، غير أن الملحوظ والمشاهد هو أن الغزو الفكري قد استهدفت بشكل أساسي المرأة. وقد أدرك خطورة هذا العنصر في التأثير في جانب القيم سلباً وإيجاباً، فعمل على إثارة الشبهات وبلبلة الأفكار، وتشجيع الرذيلة، والسخرية من كل قيمة أصيلة وشوه كثيراً من المعالم الجميلة، فبدت كل قيمة حميدة وكأنها تحمل معاني الماضي المتخلف عن ركب الحضارة، وبدت كل قيمة منحرفة وكأنها تحمل معاني التطور والرقي والحضارة. واتخذ المرأة أداة فعالة في هذا كله، وعاملاً مشجعاً عليه.

«ومن أبرز ما تدفع به الحضارة الغربية لمحاربة الإسلام وعقيدته.. اعتبار القيم التي تأتي من الدين مظهراً من مظاهر التخلف، وترتب على ذلك الانحلالُ وكفرانُ الخالق سبحانه والكفرُ بالغيب من الوحي واليوم الآخر، وسادت بين الناس فلسفات مادية وإلحادية لكل من هيجل وداروين وكارل ماركس الذين تركزت أفكارهم على الأنانية واللذائذ والشهوات والتنكر لكل القيم الفاضلة والأخلاق، وأصبح هذا الزمان هو زمن التخلي عن القيم الإسلامية في معظم البلدان[١]».

وكما أصبحت مجتمعاتنا الإسلامية متأثرة بتلك الأفكار المادية الإلحادية التي انتشرت عبر قيام أحزاب تمثلها أو مدارس فنية وأدبية، أو مؤسسات علمية وبحثية.. إلخ. كذلك تأثرت مجتمعاتنا الإسلامية بكثير من السلوكيات المنحرفة الناتجة عن التأثر بتلك الأفكار المنحرفة.

---

(١) الدكتور علي عبدالحليم محمود، تربية الناشئ المسلم، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٢م- ص ٣٧٦ .

فبهر كثير من النساء والرجال بالثقافة الغربية أو العادات الغربية كالغناء الماجن والرقص والحفلات المختلطة بين الرجال والنساء بطريقة سافرة، وغيرها من المظاهر التي لا تتصل بالأخلاق والقيم الإسلامية الحميدة.

وإذا كان هذا هو واقع المرأة اليوم، فإنه لا شك يحمل الأديبة المسلمة عبئاً كبيراً في العمل على التغيير والبناء وإعادة المعالم الجميلة للقيم الحميدة إلى أذهان المجتمعات سواء تلك القيم الإيمانية المنبثقة عن العقيدة وأفكارها، أم تلك القيم الأخلاقية المنبثقة عن مجموعة السلوكيات الناتجة عن تلك العقيدة.

والعمل على ذلك التغيير يقتضي الخطوات الآتية:

- على الأديبة المسلمة في البداية استقراء هذا الواقع استقراء موضوعياً لتلمس مواطن الخلل ومعرفة أسبابها، والتنبيه إلى خطورتها.
- حمل هم معالجة تلك المواطن، وتلمس الوسائل المجدية في تلك المعالجة، وهذا بدوره يولد عند الأديبة ما يشبه الهم المؤرق والقضية التي تدفعها للكتابة.
- تمثل تلك المعالجات عند الكتابة الإبداعية بطريقة غير مباشرة، وأسلوب فني في القصة أو الرواية، أو الشعر... إلخ.

ج - تعرية الشبهات القائمة حول المرأة المسلمة:

كثيراً ما يدور في أذهان الناس وبخاصة الشباب منهم من الجنسين كلمات حائرة، ومفاهيم خاطئة نتجت عن مجموعة من الشبهات المتراكمة، وهذا الوضع دليل على ما وصلت إليه المرأة المسلمة من صورة متذبذبة بعيدة عن منهجها وعقيدتها.

ولنا أن نتساءل: إلى أي مدى تستطيع الأديبة المسلمة في ظل هذا الواقع أن تكون مؤثرة ومعطية صورة حقيقية للمرأة المسلمة، وتدحض تلك الأفكار والمعتقدات والشبهات التي حالت بين المرأة المسلمة ومعرفة دورها في الحياة وهدف وجودها فيها، والتي شكلت صورة خاطئة عن العقيدة الإسلامية بدعوى أنها قد عطلت وعرقلت عقل المرأة المسلمة عن المشاركة الفاعلة في العملية التنموية للمجتمع اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.. وأصبح بذلك نصف المجتمع معطلاً.

openkandil.com

إن مجتمعاتنا الإسلامية قد تأثرت بمعتقدات استعمارية ليست بالقليلة، وعاشت عصوراً من الظلم والاضطهاد؛ مما أدى إلى اهتزاز كبير في كثير من الأمور الاجتماعية وطريقة التفكير وطبيعة التصور وهذا بدوره أدى إلى البحث عن الحلول التي تساعد على الخروج من هذا الوضع. ونتيجة لأن تلك الحلول قد تبناها أولئك الذين تعلموا في الغرب وتشكلت ثقافتهم فيه، فقد جاءت تلك الحلول مخالفة لكثير من معتقدات المجتمع الإسلامي، وبعيدة عن خصائصه وما يلائمه.

فظهر ما يسمى بالدعوة إلى تحرير المرأة بصورة زائفة لحقيقة مفهوم الحرية الحقيقي، حقيقة مفهوم الكرامة الإنسانية والاعتزاز بالعقيدة، وأصبحت العادات الإسلامية الصحيحة تخلفاً وعبودية، فجلوس المرأة في بيتها لتربية أودلاها والتزامها بالحجاب..إلخ أمور غير مواكبة للعصر وحجب لحرية المرأة، وقوامة الرجل في البيت سيطرة وتحكم، وميراث المرأة وعدم مساواتها بميراث الرجل ظلم وقهر.. وشبهات كثيرة غير هذه أدى الاستعمار الثقافي والغزو الفكري دوره في تأصيلها في حياتنا، وعمل الماضي بتراكماته المختلفة المتداخلة دوره في وجودها أيضاً.

ولذلك كله «ومن الجد في الدراسة والمسؤولية أمام رب العالمين أن يراجع المسلم نفسه أولاً فيتخلص من الآثار الخاطئة والتصورات المنحرفة، التي حشيت بها أذهاننا، وملأت كتبنا، وتدسست إلى وجداننا وأفكارنا مما أخذناه في مدارسنا وجامعاتنا، وما ربينا عليه في مجتمعنا الذي يسير في دراسته ومناهجه على أساس التفكير الغربي والمناهج الغربية، حتى بات التفريق بين الأصيل والدخيل أمراً شاقاً، وغدونا أدوات ووسائل من ضمن المنهج ذاته، نحمله وندافع عنه، ونفكر على أساسه» (١).

ومن هذا المنطلق فإن على الأدب الإسلامي أن يعمل من خلال الأديبة المسلمة على ما يأتي:

- تقديم التصور والرؤية الصحيحة لمجموعة تلك القيم التي أحاطت بها الشبهات فأصبحت في نظر الكثير مثلاً للتخلف والبعد عن مواكبة العصر.

---

(١) محمد حسن بريغش، في الأدب الإسلامي المعاصر وتطبيقه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ١٩٩٨م ص ٥٦.

- إعادة الصورة المشرقة لتلك القيم والمبادئ التي تم تشويهها، ومحاولة تثبيتها في الأذهان والتأكيد عليها في شكلها الصحيح.
- تعرية الشبهات القائمة وتفنيد حججها الباطلة.
- التحقق تاريخياً من صحة كثير من الروايات التاريخية والأدبية التي عملت على إثارة كثير من الشبهات حول تلك القيم، والتأكيد على أن كثيراً من الدراسات والروايات قد وردت إلينا عن طريق المستشرقين والمنصرين أو المثقفين بالثقافة الغربية، والذين بدورهم كانوا قد اعتمدوا على الروايات غير المعتمدة كألف ليلة وليلة وكتاب الأغاني.. إلخ.

د- الإسهام في صنع ثقافة الشخصية المسلمة:

تتطلب نهضة المجتمعات الإسلامية اليوم تكامل الدور بين الرجل والمرأة، وبناء شخصية كلٍ منهما بناء صحيحاً وفق المنهج الرباني الذي ارتضاه الله لهما. إذا كان الرجل قد أخذ الحيز الأكبر من الاهتمام، فإن هذا يدعونا بدوره إلى الالتفات إلى المرأة والاهتمام بها أيضاً. فقد كانت المرأة عبر التاريخ الإسلامي مؤدية لدور فاعل ومهم في صنع الأحداث وبناء الأجيال وضرب أروع الأمثلة في الصفات الحميدة.

وبدءاً كانت المرأة من أوائل من أسلموا وناصروا الرسول ﷺ وكانت من أوائل من اهتم بالعلم والفهم، حيث كانت تسابق أخواتها في حلقات العلم، روى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً فنأتيك فيه تعلمنا ما علمك الله فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا، وفي مكان كذا وكذا واجتمعن، فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله».

كذلك تمتعت المرأة المسلمة في ظل الإسلام بحرية كبيرة للتعبير عن رأيها وموقفها، ولم تكن إمعة أو مسلوبة الإرادة والفكر «لقد كان عمر ابن الخطاب على رأس الدولة الإسلامية حين أعربت امرأة عادية عن معارضتها لرأي الخليفة على

مشهد من الناس، مما حمله على التراجع عن رأيه، وهذا الموقف يوضح أن المرأة تتمتع بأكبر قدر من الحقوق في المجتمع الإسلامي يكفل للمرأة هذا الحق في أوسع معانيه» (١).

وكما كانت السيدة عائشة رضي الله عنها أكثر زوجات الرسول ﷺ قدرة على الذاكرة، فقد روت (٢٢١٠) من الأحاديث النبوية، وتميزت السيدة عائشة بدقتها في استنباط الأحكام الشرعية، وكانت توضح دواعي وعلل الأحكام لدى روايتها الأحاديث عن رسول الله ﷺ (٢).

وهذه الأمثلة وغيرها كثير تدل على أهمية دور المرأة المسلمة، ومكانتها في المجتمع، فهي وأخوها الرجل مكلفان، وكل صيغة عامة خوطب بها المؤمنون بصيغة المذكر هي خطاب في الوقت نفسه للمؤنث، وإذا كانت هذه هي المرأة المسلمة، وهذا هو دورها وإسهامها قديماً، فإن ذلك تأصيل لما يجب أن تفعله المرأة المسلمة اليوم بما يناسب واقعها ومتطلبات مجتمعها.

وواحد من أهم ما يجب أن تفعله المرأة المسلمة الأديبة اليوم هو التأثير في بنات جنسها، والإسهام في صنع ثقافة مناسبة تشكل شخصيتهن التشكيل الصحيح الموافق لمنهج الله وسننه في الكون. وما عمل الأديبة المسلمة حين تتناول الأدب والفكر في كتابتها الرواية والقصة والشعر والمقالة من منظور إسلامي في حقيقة الأمر إلا إسهام جيد في تشكيل ثقافة تلك الشخصية المسلمة. وتصحيح طبيعة تصوراتها وطريقة تفكيرها، إذا استطاعت أن تجيد عملها ذاك بطريقة فنية مناسبة، وأفكار أصيلة ومنطقية.

ثالثاً: أثر الأديبة المسلمة في مقاومة تيار التغريب :

١- التغريب وأهمية مواجهته في الحفاظ على الشخصية المسلمة:

نعني بالتغريب حيث نطلق هذه الكلمة: عملية تذويب الشخصية المسلمة في معتقداتها وطريقة تفكيرها، ونظرتها إلى الأشياء، وتعاملها مع مفرداتها، في

(١) وحيد الدين خان، المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٨٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٢.

شخصية الإنسان الغربي في معتقداته وتصوراته وتعامله. عبر مجموعة من الوسائط والمؤثرات. ولا شك أن آثار الغزو الفكري والتغريب واضحة وظاهرة في شتى نواحي حياة الشخصية المسلمة اليوم، فضياع الهوية الحقيقية لتلك الشخصية والبلبلة الفكرية وكثرة الأحزاب والمذاهب والمدارس الفكرية والبعد عن عالم الروح وسيطرة المادة وتحكمها في كل شيء، مظاهر واضحة وبارزة من مظاهر ذلك التغريب.

وتكمن خطورة التغريب في كونه ينشئ جيلاً تابعاً مستعبداً ذليلاً مضطرباً في معتقداته، مشوهاً في فكره، قلقاً في وجدانه، مهزوزاً في شخصيته.

وكما جاء في البروتوكول التاسع من بروتوكلات حكماء صهيون: «لقد خدعنا الجيل الناشئ غير اليهودي وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام، ولكنا نحن أنفسنا الملقنون لها، ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة من غير تعديل فعلي للقوانين السائدة من قبل، بل بتحريفها ببساطة، وبوضع تفسيرات لها لم يقصد إليها مشرعوها»[١].

ولعل دور الأديبة المسلمة اليوم في ظل هذا الحال يتمثل في بذل الجهد وتكثيفه في الفكر والأدب شعره ونثره، قصته وروايته ومسرحه، وكشف خبايا هذا الغزو والتغريب الذي طمس الهوية الإسلامية وكشف آثاره وأخطاره، وبخاصة على المرأة المسلمة التي حاول التغريب أن يطمس هويتها وأفكارها في جانب، وفي جانب آخر حاول استخدامها أداة من أدواته في تحقيق أهدافه لهدم الأسرة وضياع المجتمع وكما جاء في البروتوكول العاشر:

«فإذا أوحينا إلى عقل كل فرد، فكرة أهميته الذاتية، فسوف تدمر الحياة الأسرية بين الأميين وتفسد أهميتها التربوية».

إن نظرية الأدب الإسلامي في تشكلها ونموها وسعيها نحو النضوج، لتولي جانب رسالة ذلك الأدب أهمية كبيرة، ورسالة ذلك الأدب إنما تكمن في بناء شخصية الإنسان المسلم في شكل متوازن ومتكامل وفق ذلك المنهج الرباني الذي اختاره الله لها.

---

(١) ماجد كيلاني، الخطر الصهيوني، الدار السعودية، جدة ١٩٨٤م ، ص ١٣٥ - ١٣٦. المرجع السابق ص ٥٣.

فإذا ما اعترض تلك الرسالة معوق من المعوقات وجب على تلك الرسالة مجابهته، وما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب.

ومن هنا تتأكد أهمية مقاومة هذا الخطر الكبير المتمثل في التغريب ومسخ الهوية الإسلامية من الشخصية المسلمة.

وإذا ما آمنت الأديبة المسلمة برسالتها في أدبها الإسلامي إيماناً متيناً، فإنها ستعبر بصدق عن هويتها وسلوكياتها النابعة عن عقيدتها، متخذة من أدبها الإسلامي وسيلة قوية في مواكبتها الحضارية مع آثار ذلك الغزو الفكري والتغريب، وصولاً إلى أداء الأمانة، وتبرئة الذمة أمام الأجيال.

obeikandl.com

الخاتمة

ولعلنا بعد الانتهاء من هذه الورقة نصل إلى رؤية تؤكد ما أشرنا إليه في المقدمة من أهمية مواصلة العمل الدؤوب بالنسبة للأديبة المسلمة في جوانب: تربية النشء، وتوجيه المرأة المسلمة، ومقاومة التغريب.

فللأدب دور كبير في حياة الإنسان وتشكيل شخصيته كما أشرنا من قبل، وإذا كان الأمر كذلك فإن بإمكاننا أن نصل إلى تحقيق تلك الشخصية السوية المتكاملة التي نهدف إلى وجودها إذا استطعنا أن نوظف هذا الجانب توظيفاً صحيحاً وجيداً. ونحن نعول على الأديبة المسلمة أن تسهم بدور أكبر في هذا الجانب.

إذاً.. تستطيع الأديبة المسلمة بقربها من عواطف الطفل وعالمه الخاص به، ولتفهمها حاجات أختها المرأة - أن تلعب دوراً كبيراً في تشكيل شخصيتها من خلال إرساء المبادئ والقيم الربانية فيهما، وبنائهما البناء المتوازن في الصورة الحقيقية التي أرادها الله عز وجل، بعيداً عن التأثيرات الفكرية والمذاهب الفلسفية المادية بوساطة أدبها المتميز المعبر عن شخصية المرأة المسلمة المعتزة بعقيدتها، وشخصيتها، وهي بذلك إنما تحدث انقلاباً فكرياً وأدبياً في شخصية الطفل المسلم والمرأة المسلمة، وتسهم في إخراج تلك الشخصية من حالة التبلد والخمول إلى واقع الطموح والأمل. وذلك هو الأدب الحضاري المتميز الذي يحقق هدف اللحظة الراهنة ويواجه تحديات العصر.

ومن الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى ضرورة إيلاء هذا الجانب اهتماماً أكبر سواء على مستوى التنظير وتشجيع الكتابات الفكرية والنظرية، أم على مستوى تشجيع الكتابات الإبداعية.

ونوصي إزاء هذا بما يأتي:

- تشجيع إثراء جانب الكتابات النظرية التأصيلية والبحثية والكتابات الإبداعية، لتتبلور الصورة وتتضح معالم نظرية الأدب الإسلامي في هذا الجانب. وذلك عبر المسابقات والمكافآت، وطبع تلك الإبداعات والكتابات.

obeikandi.com

- محاولة إخراج مجلة كمجلة الأدب الإسلامي تخصص للاهتمام بجانب الطفل والمرأة المسلمة، والعمل على انتشارها بدعمها وتشجيع كتابها والمسهمين فيها.

- الاهتمام بقيادات العمل الأدبي النسوي وتشجيعهن، والتواصل المستمر معهن وتفعيل دورهن.

- الانتقال بالجانب الإبداعي المكتوب إلى الجانب الإبداعي المسموع والمرئي عبر التمثيل والمسرح وأفلام الكرتون... إلخ.

- مواصلة البناء والاستمرار في العمل، وعدم اليأس من طول الطريق وصعوبة النجاح.

obeikandl.com